بقلم: ظافر

القبول "بالمبادرة" الاميركية خطوة متعاكسة كليا مع المقاومة

خلال ساعات قلائل من اعلان القاهرة قبولها « للمبادرة الاميركية » افقلت العديد من الصحف العربية ابوابها وصفحاتها في وجه حركة المقاومة الفلسطينية .

هذا وببساطة ... ادارت معظم الصحف العربية ظهرها لحركة المقاومة بعد ان كانت حتى الامس القريب « تعتاش » على اخبارها ... و « تستصرح » لادنها بمناسبة وبدون مناسبة .

حسنا فعلت تلك الصحف . فقد يكشف ذلك الموقف الفظ الكثير من الزيف الذي راح يلتصق باخبار المقاومة ويفرض نفسه فرضا عليها .

وفي حقيقة الامر ان اسلوب « التضخيم الاعلامي » لحركة المقاومة كان خطه بارعة رسمت ونفذت بذكاء . وحين راحت بعض الصحف الارتباط القديم بالمخابرات الاميركية تفتح صدور صفحاتها لاخبار المقاومة ... فانها لم تكن تفعل ذلك حبا في المقاومة وغرة عليها ، بل كانت تنفذ مخططا مرسوما وطويل النفس .

وقد اخذت « الهدف » على عاتقها مهمة التبيه الى خطر « التضخيم الاعلامي » ، والكذب في اكثر من مناسبة على حظوره هذا الاسلوب مشيرة بصراحة الى منزلقاته . فكل عمل تضطلع به حركة المقاومة انما يقاس « بصورة » معينة و « بحجم » معين يكون منطبعا في اذهان الجماهير . فكلما كبرت تلك « الصورة » وضخم ذلك « الحجم » كلما « ضمرت » المعاني والآثار التي يحملها كل عمل من اعمال المقاومة .

ولهذا الاسلوب الاعلامي هدف كنا ندركه سلفا وبات واضحا للعيان الان . هذا الهدف كان ، وما زال ، اظهار المقاومة بمظهر العاجز عن التاثير العسكري الفعال ، وبالتالي فتح الطريق امام الانظمة العربية لقبول الحلول الاستسلامية بمختلف اشكالها وصورها .

ولم يحن الوقت بعد لكشف النقاب عن الدور الذي لعبه وتلعبه بعض الانظمة العربية في « تازيم » العلاقات بين منظمات المقاومة . وان كانت اشارات بدرت من كاتب عربي كبير مؤخرا نشر اشارة واضحة الى «العواطف الحقيقية » ازاء قضية وحدة حركة المقاومة الفلسطينية .

...

مقدمة كان لا بد منها لشرح ما نحن بصدده. يتساءل البعض هذه الايام : لماذا هذا التصادم بين « المبادرة الاميركية » وبين حركة المقاومة ؟ لماذا هذا الضجيج المتشدد من جانب المقاومة على المبادرة الاميركية ؟ ولماذا هذه « اللا » الحازمة في طريق كل من قبلها او قد يقبلها ؟

يقولون ايضا .. :

لماذا لا يكون هناك تنسيق ؟

ولماذا لا يكون هناك « توزيع للادوار » ؟

البعض الاخر يقول : اتركوا الانظمة العربية تقبل المبادرة ... وتتوصل عبرها وعن طريقها الى تسوية سياسية للعدوان ١٩٦٧ ... ثم بعدها يأتي دور المقاومة في تحرير الارض المحتلة عام ١٩٤٨ .

اسئلة تطرح .

وقبل الرد عليها لا بد لنا من ان نوجز في سطور اهم النقاط في المبادرة الاميركية (النص منشور في جريدة « فتح » العدد ٣٦ تاريخ ٢٦ تموز - يوليو - ١٩٧٠ - مطبوع ايضا في كراس وزعه ج.ش.ب.ف) .

...

□ تقول مقدمة المشروع الاميركي ان الاطراف المعاهدة « تعرف بضرورة اقامة صلح عادل ودائم في الشرق الاوسط ، حيث تتمكن كل دولة في هذه المنطقة من العيش بامان » .

□ تشير الفقرة الثانية في المشروع الى انتهاء حالة الحرب والى قيام حالة سلم عادية ...

ثم تنص في البند الثاني على ان « يتعهد كل من الفريقين بعمل كل ما في طاقته لضمان عدم نشوء الاعمال العدوانية والحربية في اراضيه سواء من قبل الاجهزة الحكومية او الموظفين او الاشخاص العاديين او المنظمات » .

□ تنص الفقرة الثالثة على ان « يتفق الفريقان على وضع حدود بينهما امنه ومعترف بها ترسم على خريطة او خرائط مصدقة من الفريقين وتصبح جزءا من الاتفاق النهائي » .

□ تنص الفقرة الرابعة على اجراءات تستهدف تاكيد حرمة حدود اراضي الفريقين ولضمان امن وسلامة الحدود المعترف بها وذلك بشمل : -

(أ) مناطق منزوعة السلاح .

(ب) حرية الملاحة في خليج العقبة .

(ج) اجراءات امنية عملية بشان انهاء موضوع غزة .

□ تنص المادة الخامسة على حرية الملاحة لجميع الدول بما فيها اسرائيل في مضائق تيران وخليج العقبة .

□ تنص المادة السادسة على ان لاسرائيل حرية الملاحة في قناة السويس .

□ تختصر الفقرة السابعة كل ابعاد القضية الفلسطينية ، وكل الحقوق القومية لشعب فلسطين ، وكل اهداف حركة المقاومة الخاصة بتحرير كامل الارض ... وتحصر القضية بما اسمه « التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين » .

□ تنص المادة الثامنة على « اتفاق متبادل على احترام السيادة وسلامة الاراضي وحرمتها والاستقلال السياسي . وحق كل دولة في العيش بسلام ضمن حدود امنة ومعترف بها وخالية من التهديد واعمال القوة » .

□ تنص المادة التاسعة على تسجيل الاتفاق النهائي في وثيقه تودع فورا في الامم المتحدة ، وعلى الطلب الى السكرتير العام للامم المتحدة اخبار مجلس الامن وجميع الدول الاعضاء في مجلس الامن بمضمون الاتفاق .

وتنص هذه النقطة كذلك على ان تصبح هذه الوثيقة « منذ لحظة ايداعها ملزمة للفرقاء وغير قابلة للنقض ... وتبدأ الفرقاء في تنفيذ مراعاة شروط الاتفاق » .

وتضيف هذه النقطة « ان تكون مفهوما من قبل الفرقاء بان التزامات كل منهما متبادلة ومترابطة ، وينص الاتفاق النهائي على ان يكون اساسا للاتفاق من قبل فريق بمعنى الحق للفريق الاخر بان يتخذ من هذا النكث سببا لتوقفه عن القيام بالتزاماته كليا او جزئيا الى ان تسوى النكث ويزال ... .

□ تنص المادة العاشرة على تقديم الاتفاق لمجلس الامن للتصديق عليه ... كما تنص على ان توحد الدول الاربع الكبرى جهودها للتوصل في تنفيذ بنود الاتفاق النهائي .

...

بعد الاطلاع على نصوص الاتفاق المقترح يجد سؤال جوهري : -

كيف يكون هناك تنسيق بين حركة المقاومة وبين اي نظام عربي يوقع على مثل هذا الاتفاق مع اسرائيل ؟

ان كل بند وكل كلمة في هذا الاتفاق هو لغم منصوب على طريق حركة المقاومة . والمسئولون يتكلمون عن « التنسيق وتوزيع الادوار » بين حركة المقاومة وبين الانظمة التي قبلت بالمبادرة الاميركية هم واحد من اثنين : -

● اما جاهل لا يعرف ما هي الاتفاقية المقترحة وعلى ماذا تنص ...

● واما خبيث يريد للمقاومة ان تحفر قبرها بيدها ...

ان من يقرأ بنود الاتفاق المقترح باعمان يجد ان الصياغة كلها موجهه نحو تامين اهداف لابد لها بالدولة « اسرائيل » وايجاد الضمانات العملية (بما فيها ضمانة الدول الاربع الكبرى) لسلامة اسرائيل وحدودها .

- ثانيا : تصفية القضية الفلسطينية وحركة المقاومة ومنع نشوب اي نوع من العمليات العسكرية نظامية او غير نظامية والزام الجانب العربي صراحة ودون اي ابهام بضرورة القيام بهذه المهمة .

- ثالثا : كسر طوق الحصار العربي المفروض حول اسرائيل وفتح الممرات المائية امامها مما يستتبع بالضرورة والمنطق فتح الاجواء العربية امام طائراتها والشروع تدريجيا بالمبادلات التجارية معها .

...

حين قبلت الانظمة العربية قرار مجلس الامن لعام ١٩٦٧ فان حركة المقاومة الفلسطينية رفضت هذا القرار وهاجمته واعتبرته مدخلا لتصفية قضية فلسطين . وهذا الموقف الحازم من جانب حركة المقاومة مسجل في بيانات رسمية ، وتصريحات المسؤولين ، وقد جرى التاكيد على بصورة مستمرة ودون كلل .

الا ان العجيب في الامر كله هو ان يعتقد الانظمة العربية تنسى او تتناسى ما قالته في يوم قبلت قرار مجلس الامن .

كانوا يقولون ان معظم السلاح العربي قد تم في حرب حزيران وان الوقت ضروري لاستكمال الاستعداد العسكري .

كانوا يقولون ان بناء الجيش عملية معقدة وطويلة وتحتاج الى نوع من « الهدنة المؤقتة » لاستكمال التدريب على الاسلحة الجديدة .

كانوا يقولون ان الاتحاد السوفياتي « نصح » بقبول القرار من اجل كسب الوقت وبناء القوات المسلحة ، وان القرار لن ينفذ بسبب معارضة امريكا واسرائيل له .

كانوا يقولون ان « ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » وان الستراتيجية الجديدة تقوم على « حرب الاستنزاف » الطويلة التي حيث يكون للتفوق البشري العربي اثره الفعال في مواجهة التكنولوجيا الحديثة .

اذن... فهذه الحيثيات كلها كانت تشرأنذاك الى ان الغيول بقرار مجلس الامن كان مجرد تكتيك لكسب الوقت ... ولم يكن ينظر اليه على انه الطريق نحو نفض آثار هزيمة عسكرية قاسية ...

ولكنهم الان راحوا يسندون ظهورهم الى ذلك القرار بعينه ويقولون ان « المبادرة الاميركية » هي توسيع لقرار مجلس الامن ولا تخرج عن حدوده .

اذن فالقبول بالقرار المذكور لم يكن تكتيكا... كما ان القبول الجديد بالمبادرة الاميركية ليس تكتيكا هو الاخر .

على صخرة الحقائق الجامدة ينهار ويتهاوى منطق اولئك الذين يدافعون اليوم عن قبول المبادرة الاميركية باسم التكتيك والمناورة الذكية .

شيء آخر يستلفت الانظار بغرابته :

هذا « التمسك الشكلي » برفض المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ما قيمته ، وما معناه ، وما نتائجه بعد القبول باتفاقية تنص صراحة على اقامة « صلح عادل ودائم في الشرق الاوسط»؟

لقد استند الرفض العربي التاريخي للمفاوضات المباشرة مع العدو الى حيثيات قانونية ومنطقية جوهرها واساسها رفض الاعتراف باسرائيل كدولة ، ورفض عقد الصلح معها . جوهر الموقف هو رفض الاعتراف ورفض الصلح... اما رفض المفاوضات المباشرة فقد جاء نتيجة لذلك الموقف التاريخي والمبدئي . لذلك فان رفض المفاوضات المباشرة لا يعتبر بديلا عن رفض الصلح .

وطالما ان الاتفاقية تنص على الصلح والسلام الدائم ، واحترام الحدود ، وصيانة الامن في اراضي الدولتين ، ومنع الاشخاص والمنظمات من القيام باعمال عسكرية ... الخ... الخ.. فاي قيمة تبقى وراء التمسك اللفظي برفض المفاوضات المباشرة ؟

واذا كان للصلح والسلام الدائم طريق غير طريق المفاوضات المباشرة فلماذا تتمسك اسرائيل بالشكليات ولا تصل الى هدفها التاريخي (الصلح والسلام الدائم) عن اي طريق يوصلها اليه ؟

لقد جاء تصريح جولدا مائير الاخير حول عدم اصرار اسرائيل على المفاوضات المباشرة تاكيدا للتسلسل المنطقي الذي شرحناه انفا .

...

ان قبول المبادرة الاميركية او رفضها هو موقف تاريخي حاسم لا يقبل المجاملات .

الكاملة انها اتفاقية ملزمة وغير قابلة للنقض

ان من يقرأ بنود الاتفاقية تتوفر لديه القناعة (النقطة التاسعة) وان الدول الاربع الكبرى والدول الاعضاء في مجلس الامن ستكفل تنفيذ هذا الاتفاق (النقطة العاشرة) .

القبول بالمبادرة الاميركية ... والمقاومة ... طريقان متعاكسان ...

تلك هي الحقيقة مهما كانت قاسية وجارحة !

هذا الكتاب

تنشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملفات بصمتان مخابرات من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين من اعضاء الحكومة والقادة العسكريين ، وكبار المسؤولين في الموارات ، والزعماء السابقين ، مستوحاة من المصادر العبرية وتمثل بالتفين العربية والانكليزية ، والتصريحات هذه ، تناول الفترة بين حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، وهي مدرجة تحت سلسلتها الزمني .

وتشمل هذه التصريحات على جميع الموضوعات الرئيسة التي تطرق اليها المسؤولون الاسرائيليون من عسكرية وسياسة واستراتيجية واقتصادية . ولقد احتوت من بعض تصريحات واسعة شاملة او مؤتمرات صحفية ، وهي على محملها صورة واقعية عن موقف اسرائيل من مختلف القضايا الناتجة عن حرب حزيران وفي مخططاتها للمستقبل .

والذي يسمح بإدراجه هذه التصريحات ان المفاوضات المباشرة التي تطالب بها اسرائيل ليست سوى وسيلة لاجبار العرب على القبول بخرطة جديدة للشرق الاوسط .

ولعل هذا القليل هما بالضبط ما يحتاج اليهما كل من يعمل في القضية الفلسطينية اذ اصبح يتعذر على اسرائيل ومسؤوليها ان يتكتموا على تصريحاتهم المتناقضة من اعضاء الحكومة الاسرائيلية بخصوص خطط العدو وافكاره ، وتدعم اي جهد اعلامي سواء لكشف هذه الخطط والتصدي للاعلام الاسرائيلي الذي يهدف الى رسم صورة زائفة للمواقف الاسرائيلية ، وقد اضيف الى القائمة فهرست للاعلام واخر للموضوعات ، تسهيلا للرجوع الى التصريحات .

ولعل هذا الكتاب - الوثيقة مهم الان على وجه الخصوص ، لاعطاء اشارات للسير بالقضية التي تزول في فترة الاستسلام الاسرائيلية مخترقا هو الذي

"مشروع روجرز"

يعني - حرفيا - تصفية المقاومة !

ان تكون تصفية المقاومة ، تصفية مادية ناجزة، عنها ، جهودها ، لسحق يسار المقاومة . ولقد هذه الجهود ، حدا من الرخص والابتذال ، لم يكن في الواقع ، متوقعا بهذه الصورة . والغرض من هذه الخطة القذرة المفضوحة هو شق المقاومة، وتاليب فصائلها على بعضها . وبالتالي توجيه الجماهير ، وجهة خاطئة عن اساسها ، ومفاد هذه الخطة : ان يسار المقاومة ليس عدوا لاسرائيل ، بل عدو للانظمة الوطنية ، والنظام في مصر خاصة . (وفي الوقت الذي تدرك فيه الجماهير بان يسار المقاومة ، هو وحده الامين، على الشعارات التي راهنت الانظمة عليها ، وخسرت الرهان ، شعارات الوحدة وتحرير فلسطين وبناء الاشتراكية) .

ولان الانظمة تدرك بان يسار المقاومة ، ينتظم الان في وحدة وطنية مع الاطراف الاخرى ، فقد رات انه ليس كافيا تصفية اليسار ، بل تصفية المقاومة برمتها ، وتجريدها من اسلحتها . لذلك كان اجراء اغلاق الاذاعات الفلسطينية في القاهرة.

(ادعى هيكل ان سبب اتخاذ الاجراء ، هو عدم اكتفاء المقاومة باذاعة مشروع روجرز ، بل ذهابها الى اذاعة القنابلين بالمشروع .. هذا وكان الامر ليس تحصيل حاصل . ولم يكتف هيكل بذلك اذ ادعى بان « المقاومة في وضعها الحالي هي ائتلاف محكوم بأسعف اطرافه وحلقاته » . ولي هذا الادعاء ، دعوة مريحة لاجراح اليسار ، وشق صفوف المقاومة) .

لقد كان اجراء اغلاق الاذاعات ، تكذيبا فاضحا ، لادعاء الانظمة بان مشكلتها هي مع يسار المقاومة. واصبحت الصورة الان تفيد بان المشكلة هي مع المقاومة برمتها .

وذهبت محاولة شق المقاومة ، كتمهيد لتصفيتها سياسيا ، هداها في بيان المنظمتين التابعتين : حيث طالبت كل منهما ، المقاومة ، بعدم فضح مخطط التسوية . وحاولت المنظمتان كذلك ، التهديد بالتحرك لتطويق جهود المقاومة في فضح مخطط التسوية . وهكذا بدات تتكشف الغاية المقصودة ، من ذرع المنظمات التابعة .

وتبقى هناك ظواهر اخرى ، تنتظم في هذا الاتجاه ، القاضي بتصفية المقاومة سياسيا .

فقد تولت اجهزة الانظمة ، والاجهزة المرتزقة المنبثقة عنها ، عملية الفصل ما بين القضية العربية و « القضية الفلسطينية » هذه الدعوى، تؤكد اولا ، ان الجماهير الفلسطينية هي قبل كل شيء جماهير ناصرية (تتفق الاجهزة البيعية اتفاقا واضحا بهذا الشأن ، فقد طلعت حريدة « النهار » في الاسبوع الماضي باحدار معادها ، ان ٧٠ بالمئة من الفلسطينيين يوافقون على الحل السلمي . وبعد يومين قالت نقلا عن « مصادر » - عملت « النهار » بالطبع على اختراعها - ان ٨٠ بالمئة يوافقون على التسوية ، وتجاهلت احصائية حقيقية لوكالة الغوث تقول ان ٩٠ بالمئة من الفلسطينيين لا يرغبون بالعودة الا لفلسطين عربية متحررة) .

وتؤكد اجهزة الانظمة ثانيا ، ان من حق الاقطار العربية ، التي خسرت اراضيها ، ان تختار الحل الذي ترتاءه . اما الفلسطينيون ، فلهم ان يختاروا حلا فلسطينيا خاصا بهم (حل بخرق سقف التسوية باعجوبة !.) .

ان هذه العملية المشبوهة ، واضحة الاهداف. فهي ترمي بصورة رئيسية ، الى دفع المقاومة ، في نفق « الاقليمية » او « القطرية» . وذلك في سبيل ان تكف عن توجهاتها العربية ، وفي سبيل فصل الجماهير العربية عن المقاومة .

هكذا يسقط شعار العروبة وتحرير فلسطين مفشيا عليه . والانظمة التي كان مبرر وجودها، وسر صعودها ، الارتباط بقضية فلسطين ، لا تخجل اليوم ، من فك ارتباطها ، عبر الموافقة على مشروع روجرز الذي يكفل استيعاب اقل عدد ممكن من الفلسطينيين في « الاسبارطة » الاسرائيلية الرجعية الفاشية . ثم عبر التخلي عن القضية علنا ، لدرجة التلويح « بالسلام المصري » كما فعل موسى صبري مطلق «الاخبار». وكما فعل هيكل ، بتاكيده على امكانيات الدولة المتنزلة في مصر، بل وعلى التحذير من احتمالاتها « الناصعة » .. وذلك اذا ما دفعت مصر الى ذلك .

اما الظاهرة الاخرى المرشحة للبروز ، فهي كف يد العون المادي للمقاومة ، فقبل اكثر من شهرين ، صرح العقيد القذافي ، بان ليبيا لا تريد ان تدفع اموالا ، تنفق في « تربص » فصائل المقاومة ببعضها ، لا سيما - والراي للقذافي - ان ٩٠ ٪ من جهود المقاومة ، مكرسة للحرب بين هذه الفصائل . وقد كان القذافي غريبا عندما هدد « الفداء الشريف » بذلك !

اما الظاهرة الاخرى البارزة في هذا المجال ، فهي التقليل من شان المقاومة ، واعتبار جهودها ذات قيمة ثانوية ، لا تتعدى حفظ الكرامات..

وهيكل يؤكد ان كل الذين صاحوا «لا» يستطيعون ان يتقدموا برصيد او امكانات تساوي واحدا من مليون مما يمكن ان يقدمه الذين قبلوا المبادرة الاميركية !

والياس سحاب في المحرر يكتب عن الـ «٦٥٠ رجلا عند جورج حبش - والقصد التذكير بالرقم ٦٥٠ الف ... » .

وامين الاعور يكتب عن الـ « ٢٥٠ من ازلام جورج حبش والـ ٢٥٠ من ازلام نايف حواتمه». كذا !

ومن الواضح ، ان هذه التخريجات العددية، ليس من ورائها المقارنة بين حجم يسار المقاومة، وحجم قوى المقاومة الاخرى ، بل المقارنة بين المقاومة بجملتها ، وبين قوى الحل السلمي !

وهكذا تصبح السلسلة مترابطة الحلقات، وهدفها في آخر الامر ، جعل المقاومة ، ظاهرة عسكرية معلقة في فراغ جماهيري . وعند ذاك يصبح ضرب المقاومة ماديا ، امرا « تحتمه الظروف » ..

وعلى المقاومة الان ان تقطع الطريق على هذه الجهود ، وان تعمل على تفشيلها . فليس ثمة قوى رسمية تستحق الرهان عليها ، حتى لو اغلقت رفضها اللفظي لذلك (ومسالة الرفض اللفظي لا تستحق من يكشفها ، في الوقت الذي يعلن فيه : ان العمل على عدم اثارة التناقضات بين قوى الثورة العربية ، امر مصيري... وهذا الجمع الشوائي بين قوى الحل السلمي، وقوى حرب التحرير الشعبية العماية ، ليس بدون دلالات .. هذا اذا انبهنا الى المسالة المركزية، وهي عدم الاخذ بطرق تعبئة وتجنيد الطاقات الشعبية . ذلك ان القدرة العسكرية الاسرائيلية المتفوقة على قدرة الجيش المصري ، هي متفوقه بطبيعة الحال ، على الجيوش الاخرى) .

وهكذا فان المقاومة امام خيار واحد ، وهو العمل على تجييش وتسييس جماهيرها ، وفق نظرية الحرب الشعبية . هذا هو الرد الثوري، الذي ينبغي ان تتصدى المقاومة لانجازه ، ابتداء من الان : تجييش وتسييس في العمق. والا فان المنطقة العربية والامة العربية مهيأة للدخول في مرحلة جزر، ستجني ثماره الامبريالية والصهيونية والرجعية ، على حساب الاجيال الطالعة ..

□ « م. سفيان »